

## الواقع السوسي من خلال قصائد الرايس حماد بيزماون

محمد أبيدار

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين جهة سوس ماسة

### تقديم

إنّ الحديث عن عمل كهذا يستوجب ذكر بعض دوافعه وأسباب اختياره التي يمكن ذكرها كالتالي: الأولى، تتعلّق بالعوامل التي دفعتنا إلى اختيار الاهتمام بالكتابة في الأدب الأمازيغي ككل شعرا ونثرا، والثانية تتضمّن الأسباب التي فرضت علينا تحديد الموضوع في نطاق شعر الرايس حماد بيزماون. فالأولى يمكن اختزالها في أنّ عملا كهذا يعد من واجب المثقفين لأنّ تراثنا الشعبي كيفما كان نوعه مهدد بالضياع إذا لم يتمّ إنقاذه، خصوصا وأنّ معظم قصائد الروايس ينبغي أن تحوّل من مسار شفوي إلى آخر كتابي بغية توثيقها والحفاظ على مضامينها لمن سيبعث فيها مستقبلا. رغبتنا إذن مبنية على تجاوز جدران المكتبات ومعانقة الفضاءات المرتبطة بالبحث الميداني لدى الروايس... وفيما يتعلّق بالأسباب التي جعلتنا نختار الرايس حماد بيزماون وإن كان من البديهي أنّه لا يمكن الإحاطة بالأدب الشعبي المغربي ككل، ومنه الأمازيغي بالخصوص، بل حتّى الإقليمي المحلي أو الجهوي في مثل هذا العرض. فالمغرب كان منذ فجر التاريخ صلة وصل بين إفريقيا والصحراء والبحر الأبيض المتوسط و أوروبا؛ وقد جعله هذا المركز متحفا حيّا لتقاليد و منحازات فنية جاءت من الشرق ومن الشمال والجنوب، ثمّ انصهرت في بوتقة واحدة<sup>1</sup>. و يكفي أن ينتقل المرء بين القرى والمدن المغربية ليلاحظ التنوع في الأدب الشعبي، ولذلك يكون من الأفضل تحديد إطار هذا العمل انطلاقا من اختيار جانب من الجوانب أو شخصية من الشخصيات...

إنّنا حين نشتغل على بعض قصائد بيزماون، فإنّنا في الواقع نقدم صورة عن القصيدة الأمازيغية السوسية المتميزة بالإبداع الفني مقارنة مع ما ورد عند غيره من الروايس الآخرين، وإن كانت الموضوعات المتناولة من مدح وغزل ووصف وعتاب... تكاد تكون واحدة لدى أغلبيتهم رغم وجود بعض الاختلافات أحيانا، تكمن في اختيار الألفاظ وفي استعمال الصور البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية

<sup>1</sup> - أعشى (مصطفى) "ضرورة القيام بمسح للتراث الشعبي"، مقال ضمن مجلّة الفنون/ عدد: 5 - 6، ص: 8.

وأنواع المجاز الأخرى وبعض الخصائص الأخرى المستعملة كالرمز والقصة... مع العلم أنّ ذلك تفرضه بعض العوامل والمؤثرات الجغرافية والمهنية والعائلية و العقائدية... فاختيارنا إذن يتأسس على:

- اعتبار الرايس حماد بيزماون نموذج الروايس المبدعين المشهورين بسوس<sup>2</sup> نظرا لاعترااف بعض النقاد بشاعريته الخصبه لدرجة تنصبيه كبير الروايس في السبعينات من القرن العشرين؛ إذ كان يلقب في هذه المرحلة ب: "أمغار ن الروايس".

- امتياز نظمه بمميزات " الشعرية" الخاصة، وبخصائص فنية وبلاغية كالإكثار من استعمال التشبيهات والاستعارات و الرموز بمختلف أصنافها...

- محاولة تصويره للواقع تصويرا مقبولا لدى المتلقي وذلك بأسلوب سهل مانع وسلس. من هنا فإنّ دراستنا لهذا الموضوع ستكون أقرب إلى الواقعية والدقة والصدق وذلك تمشيا مع الحقيقة التي سبق أن قرّرها أحد الباحثين في الثقافة الشعبية<sup>3</sup> السوسية وهي أنّه على كلّ دارس للفنون الشعبية "أن يعلم أنّه يسجّل للحقيقة والتاريخ؛ فليس من الأمانة في شيء أن تنجز الأفلام في التحريف و التزييف". ولعل أبرز المشاكل المعترضة للباحث في موضوع كهذا قلة المراجع التي تناولته بالدرس والتحليل، صعوبة تحويل الأغاني المغناة إلى قصائد مكتوبة، ومن أكبر هذه المشاكل صعوبة ترجمة أو تحويل مضامين القصائد المختارة من اللغة الأصل (تاشلحيت) إلى اللغة الهدف (العربية) مثلا، وحتى إذا تمّت هذه العملية فهل نستطيع ترجمة الشعر؟ و إذا ترجمنا الأفكار فهل نستطيع نقل الموسيقى اللفظية التي هي أهم عنصر من عناصر تكوينه؟

من هنا جاءت صعوبة نقل النص المغنى من لغة إلى أخرى، لأنّ المترجم مهما كانت ثقافته ومهما كان متمكنا من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها، فإنّه لا يستطيع نقل الإيقاع اللفظي والتناغم الموسيقي؛ وهذا يتلاءم مع القول السائر على الألسن: "الترجمة خيانة". ورغم بعض الصعوبات المذكورة فإنّنا سنتناول هذا الموضوع قصد إبراز تجليات الواقع السوسي من خلال قصائد هذا الفنان،

---

<sup>2</sup> - يطلق في عرف الجغرافيين والمؤرخين العرب القدماء على كلّ القطر المغربي من طنجة إلى الصحراء، وقد قسموه إلى سوس الأدنى وسوس الأقصى. وتمتد هذه المنطقة حاليا بين المنحدرات الأخيرة لجبال الأطلس الكبرى شمالا، وسلسلة الأطلس الصغير جنوبا، وإقليم درعة شرقا، والمحيط الأطلسي غربا. الفاسي (محمد) "سوس عند الجغرافيين والمؤرخين قديما وحديثا" مقال ضمن مجلة المناهل عدد: 23 مارس 1982/، ص: 11. /المعاوي (عبد الله) "الشعر الغنائي السوسي (لقصيدة)"، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب الرباط. /أيبار (محمد) "القصيدة الأمازيغية السوسية دراسة نصية"، رسالة دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، 1999م، ص: 59.

<sup>3</sup> - المولى (هيام) " إشكالية الموقف إزاء الثقافة الشعبية" مقال ضمن مجلة معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، الفكر العربي عدد: 19 ، السنة الثالثة 1981م، ص: 75.

فكيف ذلك؟

بداية وقبل الإجابة عن هذا السؤال الإشكالي، لابد من تحديد مفهوم الواقعية، مع الإشارة إلى بعض المؤثرات التي ساهمت في تكوين شخصية الرايس حماد بيزماون، وإبراز موهبته الشعرية لدرجة أنّ قصائده كانت تعدّ مرآة تعكس بصدق وأمانة الواقع الاجتماعي السوسي<sup>4</sup>، كما أنّها وعاء كامل لكل المواد التي تتداخل في تكوين مجتمعه، وهي أيضا تمثّل صورا وألفاظا منتقاة من مظاهر الحياة اليومية بسوس.

مصطلح الواقعية مشتق من الواقع الذي يعني كل ما له علاقة بالإنسان في زمان ومكان محددين رغم اختلاف التعاريف حولها. فأرسطو في كتابه: "فنّ الشعر" يركّز على أنّ الأدب محاكاة للواقع، وذلك ضمن قواعد وقوانين ثابتة، لكن محاكاة الواقع عنده لا تعني حتما أخذ الواقع كما هو ونقله، وإنّما إجراء الاختيار فيه. و كرد فعل حاول الكتّاب المعاصرون الخروج عمّا رسمه أرسطو، فأخذوا الواقع كما هو ونقلوه إلى عالم الأدب. فإلى جانب هؤلاء هناك بعض نقاد الأدب الذين رفضوا رفضا باتا الكتابات الواقعية، بدليل عدم وجود القواعد و المنهج<sup>5</sup>.

لقد ظهر مصطلح الواقعية كمصطلح أدبي ونقدي عام 1835م في فرنسا، للدلالة على الواقع الإنساني؛ وفي سنة 1856م حينما ظهرت المجلّة الأدبية الواقعية «Realisme» التي كان يصدرها دورانت<sup>6</sup>، وقعت خصومة بين أنصار الواقعية وأنصار المثالية، فأصبحت الواقعية نقبضا للمثالية. وحاول الواقعيون رفض أول مدرستهم بقرون مضت، بمعنى أنّ الواقعية ليست حديثة العهد وإنّما حاولت الطبقات الأرستقراطية سحقها والخطّ من شأنها. و كان التقرب من الواقع الشعبي ونقله إلى عالم الأدب من أسباب انتصارها وتفوّقها على المدرسة المثالية التي كانت تهيمن على الساحة الفكرية منذ قرون. ويرى العالم اللساني جاكوبسون أنّ هناك عدّة واقعيّات، منها ما يتعلّق بالمرسل وخاصة إن كان يثور على الشكل أي القواعد الفنية القديمة وطريقة الكتابة، فيرفضها أو يضيف إليها بعض الإضافات، كما أنّ هناك واقعية المرسل إليه أي: المتلقي وخاصة إن كان يثور على القواعد الفنية المرعية من طرف المرسل. وهناك واقعية بالمعنى التاريخي للأدب، ظهرت كمدرسة أدبية في القرن التاسع عشر في فرنسا وروسيا، ثمّ

---

<sup>4</sup> - مستاوي (محمد) مقال تمّ فيه اعتبار الشعر الأمازيغي بالنسبة للقروي جريدة وكتاب ومسرح وسينما... جريدة أنوال ليوم الخميس 4 أكتوبر 1984م.

<sup>5</sup> - مجلة: Tel que الجزء الثاني، ص: 584.

<sup>6</sup> - انظر مقالة تحت عنوان: "Réalisme et forme romanesque" "يان واط في العدد: 16 من مجلة: «Poétique» ص: 522.

واقعية أخرى برزت في علم اللسانيات تركز على المجاز المرسل والكنائية، عكس المدرسة الرومانسية التي تركز على الاستعارات، وذلك على حد قول "رولان بارت". فالكاتب الواقعي، على حدّ تعبير ياكبسون، لا يجعل الواقع مرآة لكتابته، وإنما يضع واقعا تمّت كتابته. أما "برتولد بريخت" فإنه يعطي للكتابة الواقعية صبغة وبعداً إيديولوجياً وسياسياً، لأنّ الواقعية لديه، لا تهتمّ بالشكل وطريقة الكتابة بقدر ما تهتمّ بالمضمون الاجتماعي ذي أبعاد شعبية. وأمام خطر النازية والفاشية كان بريخت يدعو النقاد إلى دراسة الأدب انطلاقاً من المجتمع والطبقات الشعبية المهددة وليس انطلاقاً من الشكل؛ إذن فالواقعية هي دراسة فنية للواقع الاجتماعي ككل، والكتابة في إطارها ليست مجرد كتابة فقط بل هي كتابة لها ارتباط قويّ بالواقع الموصوف، فما هي يا ترى علاقة اللغة بالواقع؟

إنّ السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الجانب هو: هل تستطيع اللغة نقل الواقع أم أنّها عاجزة عن ذلك؟

في الحقيقة، وبعد دراسة اللغة وبنيتها التي تخضع لقوانين ذاتية، وهي غير القوانين التي يخضع لها الواقع، يستفاد أنّ اللغة لا تنقل الواقع كما هو، ولا تستطيع نقله كما هو؛ والكاتب الواقعي مهما كانت واقعيته، إنّما ينقل تصوره للواقع، وهذا التصور مرتبط بوعيه له وثقافته ومبادئه الإيديولوجية التي يتبنّاها<sup>7</sup>. إنّ لكل مبدع إذن تصوره الخاص تجاه الظواهر والأشياء، ويرجع طبعاً ذلك إلى وعيه وثقافته والخلفيات التي يحملها في فكره؛ وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أن لا وجود لنص واقعي بقوانين ومقاييس ثابتة ومعروفة، ولكن هذه النتيجة تطرح أمامنا سؤالاً آخر وهو: كيف نستطيع معرفة النص الواقعي من غيره؟

النص الواقعي، في الحقيقة، يصعب تمييزه ويسهل في آن واحد. فهو يصعب على القارئ غير الملمّ بمشاكل المجتمع الموصوف، لأنّه إنّما أن يكون فوق مستوى مشاكل هذا المجتمع وإما أن يكون دونها. ويسهل على الملمّ بمشاكل المجتمع الموصوف لأنّه يشاركه أفراحه وأحزانه، بل هو جزء لا يتجزأ منه، فيكون النص الواقعي حينئذ عبارة عن مرآة تعكس بصدق عالمه الذي يعيش تحت أحضانه، فيحى في نفسه ذكريات ووقائع لها علاقة بحياته.

يمكن القول إذن إنّ النص الواقعي بوحده العضوية وبصورته المركّبة المؤلّفة من تسلسل مجموعة من العناصر تبدو لأول وهلة أنّها غير منطقية ولكنّها في الحقيقة وخاصة بعد كشف القارئ البنية عن الخيط الذي يربطها منطقية. فالرايس قد ينتقل في قصيدته الغنائية من الأسطورة إلى القصّة إلى الحوار إلى التكرار إلى شخصيات من التاريخ، إلى الرموز، ليخلق في آخر المطاف علاقة وثيقة بين هذه العناصر

<sup>7</sup> - مجلّة الفكر العربي، العدد: 25، السنة الرابعة يناير 1982م.

والواقع الاجتماعي. و إذا كان الباحث أحيانا عاجزا عن إيجاد تعريف شامل ودقيق لمفهوم الواقعية، فإنّ بعض الخصائص قد تميّز الكتابة في هذا الاتجاه، منها مثلا:

1- التركيز على البعد الاجتماعي، بما في ذلك من وصف دقيق للحياة الاجتماعية ومظاهرها المختلفة، فنلاحظ مثلا أنّه عندما يتحدث عن معضلة اجتماعية كالفساد فإنّه يحدّد مكانها وزمنها ويعطي تفاصيل عن أسبابها وعواقبها؛

2- المصدقية، إذ هناك أساليب متنوعة يستعملها الفنّان الواقعي لإبراز مصداقيته كسرد الأحداث وذكر شاهد عيان لها، ورّما يكون الرايس هو الشاهد نفسه، أو يتجنّب الغموض لتكون المعطيات قريبة من المعطيات العلمية التي لا تقبل التأويلات الكثيرة. وهذا التحديد يعطي صفة القرابة بين الشيء الموصوف و الواقع.

3- التكامل في النظر إلى العالم، فالأغنية الواقعية قد تحتوي على ثنائيات متعددة، فإلى جانب الحياة نرى الموت، وإلى جانب الغنى نرى الفقر، وإلى جانب الأعلى نرى الأسفل وهكذا دواليك...

4- شمولية وصف العالم الخارجي؛ فأحيانا نجد الفنّان يهتم بوصف واقعه المحيط به بشكل كليّ حتّى ولو كان العالم الموصوف معقّدا، اعتمادا على رحلاته الاستطلاعية مثلا أو احتكاكه بالطبقات الشعبية في المجتمع؛

5- التركيز على الأسماء و إعطائها أحيانا رموزا قد تكون لها جذورا تاريخية؛

6- الاستعانة بوسائل الإيضاح مثل:

أ - انتقاء اللفظة المستعملة في القصيدة المغنّاة،

ب - استعمال الصور البيانية كالتشبيه، الاستعارة، الكناية، الرمز و القصّة التي يعتبرها البعض وسيلة من - وسائل رسم الصورة وتقريبها من ذهن السامع، وذلك بواسطة كلمة ملّمة بكل مقومات المجتمع الموصوف؛ فهي ذلك التعبير عن كل حاجيات المجتمع الروحية و المادية<sup>8</sup>

وإذا كانت هذه بعض من خصائص النص الواقعي، فما الذي يميّز القصيدة الأمازيغية المغنّاة في واقعها السوسي؟

القصيدة الأمازيغية السوسية كما هو معلوم لدى أغلبية الناس المهتمّين بها تتفرّع إلى

نمودجين:

<sup>8</sup> - الشعر الغنائي السوسي (م. س).

قصيدة "أحواش" وقصيدة "تيرويسا"<sup>9</sup>. فقصيدة أحواش تعتبر من أقدم ما عرفه الأدب السوسي، وتعتبر مصدر قصيدة الرايس شكلا ومضمونا. ولفظة أحواش تعني الجمع، حيث يجتمع سكان القبيلة للرقص والإنشاد في مكان يدعى: "أسايس" مستعملين آلات جلدية كالبندير (أكوال) والطلب (كانكا) والناقوس غيرها... وإذا كانت قصيدة أحواش أسبق زمنيا من قصيدة الرايس، فإن هذه الأخيرة استطاعت أن تفرض وجودها في المناطق السوسية بمميزاتها الخاصة<sup>10</sup>. فما هي يا ترى سماتها الواقعية عند الرايس حماد بيزماون؟

إن المتأمل لقصائده سيجدها تشمل بعضا من هذه السمات، ومنها:

- الموضوع الذي نحد شببها له في الثقافات الإنسانية الأخرى مثل ما هو الشأن عند بقية المبدعين؛ فمضامينه في العموم وصفية (مدحية، غزلية، هجائية، رثائية، سياسية...) الهدف منها هو تعرية الواقع والكشف عن خباياه.

- انتقاء الكلمات التي لها القدرة في التأثير على نفوس المستمعين بغية حصول التجاوب بين الفنان و الجمهور.

- الاهتمام بالصورة الشعرية كأداة قوية لإيصال المعاني بأشكال رمزية يتم عبرها تمرير الرسائل المرغوب فيها للمتلقين. فالفنان الأمازيغي استطاع بفضل حنكته ويقظته ووعيه بما يجري في واقعه أن يصوره أحسن تصوير، وهذا ما نلمسه بجلاء في قصائد الرايس حماد بيزماون كما سيأتي، فكيف تم ذلك؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال الإشكالي، لابد من التذكير بما نصّ عليه بعض المنظرين في هذا المجال أمثال الدكتور حسين مروّة الذي يؤكّد على أنّه لا تعارض بين الوجدان الرومانسي والاتجاه الواقعي، ذلك أنّ بعض الدراسات النقدية أثبتت أنّ الواقعية لا تعادي الإبداع الرومانسي ووجدانه وخياله. يقول مؤكّدا ذلك: " إنّ الذين يتهمون الواقعية بكونها عقلانية خالصة مفرغة من الإبداع الرومانسي ووجدانه وخياله ينسون أو يتناسون حقيقة هامة هي أن ليس في كيان الإنسان شيء منفصل عن شيء، أي أنّ الوجدان والخيال في الإنسان ليسا منقطعي الصلة عن شؤون الحياة العقلية وعن ينابيع المعرفة التي يستمدّها العقل من قوانين الحياة ومن التجربة والخبرة"<sup>11</sup>. ويفهم من هذه القولة أنّ عملية الخلق هنا هي عملية اتصال وجداني واع بين ذات الكاتب والواقع

<sup>9</sup> أبيدار محمد، الشعر الأمازيغي بسوس دراسة وتحليل "تيرويسا أنموذجا"، الطبعة الأولى، 2021.

<sup>10</sup> - الشعر الغنائي... (م. س).

<sup>11</sup> - مروّة (حسين)، "دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي"، ص: 100.

الموضوعي.

و يضيف الأستاذ عبد الباسط الصوفي قائلاً: "بأنّ الفنّ الرفيع يجب أن يكون طليقاً لأنّ الصفة الأولية للفنّ هي أنّه إنساني ولأنّ مادّة الأدب هي الإنسان. فكلّما أوغل الإنسان في حريته وتوجّه إلى أعمق أعماقه، إلى الجوهر والرمز، إلى النقطة التي تنبع منها مشكلة وجوده، التقى مع جميع الناس. إذن لا انفصال بين الفرد والآخرين، لأنّ الصفات الإنسانية وحدة لا تتجزّأ. فالشاعر عندما يعبر عن مشاعره وأفكاره الخاصة فإنّما يعبر في الوقت ذاته عن كل إنسان"<sup>12</sup>. إذن فخلاصة كلا الرأيين هي أنّ للشاعر الواقعي الحق في تناول ما يشاء في كتاباته، حتّى الحبّ والزهر والقصور... بشرط أن يكون عمله موجّهاً إلى صالح الإنسان وتطويره. و لذلك تجد في القصيدة الواقعية ملامح الرومانسية ولكنك مع ذلك قد تحكم بكونها قصيدة واقعية، وذلك انطلاقاً من محتواها المستمدّ من الحياة الاجتماعية. وعلى ضوء هذه الاستنتاجات يمكن إدراج الرئيس حماد بيزماون من بين الفنانين الروائس الواقعيين بسوس الذين تطرّفوا لأغراض شعرية متنوعة كالوصف، المدح، الغزل، الرثاء... ولكنّه في ثنايا هذه الأغراض يبيّن فلسفته الواقعية باعتبارها أفكاراً واعتقادات آمن بها، فكيف إذن تمّ ذلك؟

## I - المضمون :

يلتقط حماد بيزماون من الواقع كل ما يقع عليه بصره، وكل ما يستوعبه حسّه وإدراكه، فأنت تقرّ في شعره طبيعة سوس بسهولة وجباله وأنهاره ونخيله وأشجاره وبكل ما فيه من خيرات وثروات طبيعية وغير طبيعية؛ أمّا الكوارث الاجتماعية فلقد كانت تستفزّ عاطفته المتوهجة، إذ جاء شعره صرخة في وجه الليل وشكوى من القبر وأحاديث وجدانية عن ذكريات مؤلمة. وتمتدّ ثورته أحياناً إلى القيم الاجتماعية الفاسدة كالغدر و البغاء و الخيانة الزوجية و الحقد والتكبر والفقر و الجوع... و أثناء تصويره هموم الإنسان في الواقع فإنّه يرجع إلى الماضي المجيد، يستمدّ منه مادة الحماسة لتحريك النفوس، ويضرب أمثلة بسلوك شاهدهته الإنسانية فيما مضى، وذلك سعياً وراء التخلّق به. فدراسة الواقع في شعر بيزماون إذن تستوجب إبراز سمات هذا الواقع السوسي مضمونا وشكلا، وذلك استجابة لما نصّ عليه لوسيان كولدمان حين أكّد في هذا الصدد على أنّ الأثر الأدبي يتألف من عنصري الشكل والمضمون باعتبارهما كلّاً غير منفصل، وأنّ هذا الكلّ على علاقة

<sup>12</sup> - نشاوي (نسيب)، "المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر"، دمشق، السنة: 1980م، ص: 343 .

دينامية بالحياة الاجتماعية وبأبعادها المختلفة<sup>13</sup>. والواقع أنَّ علاقة الشكل بالمضمون والعكس هي إشكالية قديمة في النصوص ونقدها وليست فقط من طرح غولدمان، فهي مطروحة منذ الصراع الذي قام بين المذهب الرومانسي والمذهب الواقعي (زولا، بلزاك وسانت بوف)، وهي من الإشكاليات المعرفية التي خصَّص لها رولان بارت بعض كتاباته النقدية. وإذا كان الأمر كذلك فما هي بعض سمات الواقعية في مضمون قصائد الرئيس حماد بيزماون؟

الواقع الاجتماعي :

إذا كان معنى الحبِّ ومفهومه يختلف لدى شخص واحد حسب الظروف والحالة النفسية لهذا الشخص، فكيف لن يختلف هذا المفهوم وهذا المعنى باختلاف الناس. إذن فلا نستغرب كثرة الصور التي رسمت للحبِّ في ذهن الرايس بيزمان، ولعل أوضح تصوير له يكمن في قوله.<sup>14</sup>

وبهذا يكون بيزماون قد أعطى تفسيراً للحب في هذا الزمان، إذ شبّهه بالموسم التجاري الذي لا تتجاوز مدّة إقامته يومين. ووجه الشبه بين كلا الطرفين هو المدة الزمنية القصيرة (يومين)، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على استحالة الحبّ في هذا الزمان وعدم جدواه لدى بعض الناس، وذلك لأسباب يمكن استخلاصها من قصائده كالآتي:

وفي هذا الصدد رفع الرئيس حماد صوته قائلاً:

<sup>14</sup> - بيزماون (أحمد)، قصيدة: "تبيضيت" بمعنى: "الفراق".



فانطلاقاً من الأدبيات السابقة ندرك أنّ تجربة الرايس في هذا الميدان عميقة، لأنّ نظرته إلى الحبّ نظرة تحكم العقل دون غيره. فقد أعطى تصويراً بارعاً للشابّ الصغير العقل في المجتمع وجعله بمثابة غصن لا يستطيع مقاومة الرياح من جهة والفأس من جهة أخرى، ربح تكسّرهُ وفأس تقطعه. وخلاصة الاستنتاج من كل ما ذكر أنّ الإنسان يجب عليه أن يغلب عقله على عواطفه قبل الوقوع فيما لا مخرج منه، فيصبح ألعوبة تتلاعب به الأمواج في ظلمات بحر الغرام.

إنَّ أغلب قصائد الرايس ييزامون في هذا المجال تدور حول طغيان المادة على قلوب المحبِّين، إذ لا أمل في الحبِّ لمن لا أساس مادي له... وقد كانت صرخته قويَّة في هذا الباب داعياً إلى تجاوز مثل هذا الحبِّ المبني على الكذب والنفاق والتصنُّع، لأنَّه لا يفيد بقدر ما يوقع في مشاكل لا تحمد عقباه، وفي السياق نفسه يقول<sup>15</sup>:

وإن دلت القصيدة المشار إليها أعلاه على شيء، فإنما تدلّ على مادية الحب واستهتار المحبين وجنونهم. فهناك من أفلس من جزاء الحبّ وباع كل ما يملك في سبيل إرضاء المحبوب، واشترى الحبّ بالمال والهدايا القيّمة. ففي موقع آخر<sup>16</sup> يعلن الرايس ثورته ضدّا على هذا النوع من الحبّ، حاملاً مشعلاً يبيّن به طريق العشاق فاضحاً أسرارهم و مبدياً عواقبه الوخيمة قائلاً:

فيزمّون يخاطب محبوبته في هذه القصيدة مذكراً إيّاها بعاقبة من عواقب تعلّقه بها، وهي فراقه مع والديه وهجرتهما، وذلك في سبيل إرضائها وكسب حبّها حيث أوقف نفسه أمام قفص الاتّهام محمّلاً إيّاها مسؤولية ما جناه في الحبّ خاصة وأنّ له صدمات وجدانية و تأزّرات نفسانية في هذا المجال. وقد خلص الرايس في تجربته الغرامية إلى نتيجة مفادها إمّا ربح أو خسران، فمن قيّد عواطفه وأطلق العنان لعقله فمضيه لاشكّ الريح، أمّا من قام بالعكس فمضيه لا محالة هو الخسران ولو كان جيبه متيناً لأنّ

16 - بيزماون (أحمد)، قصيدة "إمارك نون".

المادّة لا تنقد من المشاكل والأزمات وخاصة العاطفية بقدر ما توقع فيها، والذي ينقد ويخلص منها هو العقل، يقول: <sup>17</sup>

◦ ΛΛ%ξ+ ◦ +◦Q%Cξ+ %O +Λ%Cξ  
 ◦ CIIQK Λ %◦ ◦Θ ξH+Θ KK◦Iξ  
 ◦ %HHξ+ ◦%H %O ξX◦ K◦◦ +KKξ+ξ  
 ξHH◦ C◦ ξHHI ◦O◦L IIΘ ξXHHξIξ  
 ξHH◦ C◦ ξHHI ξII◦Θ %H◦ Θ◦Θ◦Oξ  
 %K◦I ξHK ξ +ξHH◦Θ ◦O Kξ+Y IH◦Iξ  
 %XX◦O ◦%X◦I ξ L◦Λ◦ %O ◦% HΦCIξ  
 ◦ L◦H◦ O◦ ξXC◦ Y HΘΛO I KKξIξ  
 ξHLLHH H◦ ξXΘO IYΛ ◦ ξOΘ◦Λξ  
 CZZ◦O ξOΛ◦ HCIξΘΘ IO O◦Λ ΘX%Iξ.

وينفرد الرئيس بفكرة استحالة الثقة في زواج اليوم، إذ كان مصيره في النهاية هو الطلاق كما لاحظناه عنده اليوم؛ فقد فشل في حياته الزوجية وفضل أن يعيش عازبا الع معتبرا العزوبة مرحلة التمتع بالحرية والارتياح من تكاليف الزواج، يقول:

ءامقار تاكات ئراقمارن ئوشن،

ءور ءاداك سار ئكرد مقارتن توست. <sup>18</sup>

## 2- القيم الاجتماعية:

انطلاقا من العلاقة الموضوعية المحتمل ورودها بين الكتابة الواقعية والواقع الموصوف، فإنّ الرئيس يجمع مادته التي يقصد من ورائها وصف هذا الواقع الاجتماعي المعيش لتحريك النفوس المعطّلة وتغيير ما كان بما يجب أن يكون. فيبزمون وصف الواقع السوسي وانتقده بشدّة ثمّ طرح البديل، فجاء شعره صرخة في وجه بعض الظواهر والقيم الاجتماعية مثل:

أ - الاستنجد بالأولياء والشرفاء:

رغم استنجد الرئيس حماد بيزماون بالأولياء <sup>19</sup>، شأنه في ذلك شأن بقية الروايس بالجنوب المغربي، فيلاحظ أنّ في بعض قصائده إشارات بعدم جدوى ذلك قائلا: <sup>20</sup>

<sup>17</sup> - بيزماون (أحمد)، قصيدة: "ءادونيت ءاتاروميت"

<sup>18</sup> - بيزماون (أحمد)، قصيدة: "ءاح ءاياحيب نخلا ديك ءوسان ئو"، (م.س).

<sup>19</sup> - قصيدة "ءايس بمعنى: الحصان".

<sup>20</sup> - قصيدة "ءابسمي لآه ءاسرس بدوخ" بمعنى: "باسم الله، به أبدأ".

ومقابل ذلك؛ طرح بديلا هو الاستعانة بالله عزّ وجلّ في كل قدر أم بالمخلوق سواء تعلّق الأمر فيه بالسقوط أو النجاح أو المرض أو الشفاء أو غير ذلك، فكل هذه الأمور أو ما شابهها تكون مقدرة من الخالق لا من وليّ أو شريف، وما على الإنسان إلّا الصبر؛ و لا هروب له من القدر وإن قيل بأنّ الحذر أسبق من القدر. فمن انتهى أجله سيموت بالضرورة ومن لم ينته أجله فسيحيى، يقول مؤكّدا ذلك:

في هذا السياق إذن لا أمل للمريض في النجاة، ولا أمل لزوار الأضرحة في تحقيق الرغبات لأن ذلك لا يغدو أن يكون لديه سوى شعوذة أو جهلا للأمر، وفي هذا الصدد يقول:

وهذه الأمور في الحقيقة تعبير عن وعي الرايس بيزامون بهذه الظواهر الاجتماعية التي ينبغي تجاوزها وانتقادها. فمن أشعل الشموع في الضريح وجلس بجانب القبر أو المزار يطلب الشفاء فإنه لا يقوم بشيء سوى تلطix الضريح بأدخنة وأتواء الشموع، و من كان مريضا سيشفى لأن لكل مرض شفاء ولأن الذي أرسل الداء خلق له الدواء، ولذا فلا معنى لزيارة الأضرحة في هذا الشأن، اللهم من أراد تلطixها دون تحقيق للمطالب. فالضريح ليس إلا أحجارا فوق أحجار، والمدفون لم يكن إلا إنسانا انتهى عمره فألقي عليه التراب والحجارة ثم بني عليه الضريح اعتقادا ببركته من طرف مجتمعه. والشريف الذي يدعي أنه من سلالة الرسول ليس إلا من طينة ابن آدم، فلا يمكن استثنائه عن غيره من أبناء عيسى وموسى ودادود وبقية الأنبياء لأن الشرفاء بأفعالهم وليس بأنسابهم.

من الظواهر الاجتماعية الفاسدة في المجتمع "الغدر والخداع"، فهما منبعا الشرّ والعداوة والصراع بين الإنسان وبنى جلده في الحياة. فالصديق يتربص بصديقه ويتحينّ الفرض لحياثته وغدره، وهكذا ذواليك إلى أن نصل في تحاية المطاف إلى أنّ الغدر والخداع قد ملكا الإنسان واستعمره، ففقدت الصداقة مدلولها والأخوة معناها، وإلى ذلك يشير الرئيس أحمد بيزماون في

[illegible]

والصدّاقة: 22

ረርሮ. ጠጠተ ስለ ዘሩ፤ ጠጠተ ጥጥጥ፤ ጠጠተ ጥጥጥ፤  
 ጠጠተ ጥጥጥ ስለ ጠጠተ ጥጥጥ፤ ጠጠተ ጥጥጥ፤  
 ጠጠተ ጥጥጥ ስለ ጠጠተ ጥጥጥ፤ ጠጠተ ጥጥጥ፤  
 ጠጠተ ጥጥጥ ስለ ጠጠተ ጥጥጥ፤ ጠጠተ ጥጥጥ፤

وبسرعة فائقة نحو الأسفل.

ج- الحسد و النميمة:

المجال: 23

[illegible]

21 - قصيدة: "ءار كا يالا ئزري".

<sup>22</sup> - قصيدة : " لموت ءامونگزر " .

23 - قصيدة: "أمارك أف ءوكان نجلا".

فبعد أن أبان الرئيس عن عقدة الحسود وصفاته الخبيثة التي يجب عليه تجاوزها والتخلّي عنها، طرح بديلاً عن ذلك مصرّحاً بما ينبغي أن يكون. وعوض الحسد والتميمة يجب السعي وراء فعل الخير والتعاون لأنّ الفرق شاسع بين أن يتمي الإنسان لأخيه زوال النعمة عنه وتحولها إليه أو السعي وراء إيقاعه في المآرب وبين أن يصارحه ويأخذ بيده ويتوحدّ معه، إيماناً منه بأنّ الوحدة هي أساس الانتصار والصرافة هي سيّدة القانون والتعاون هو أساس التنمية، يقول بيزماون مصوراً ما يعتقد في السياق نفسه:<sup>24</sup>

Πολι ο ΣΟΗολ οΗΗΗΚΣ ΚΟΕΣ ΣΟΥ%Λ,  
οο ΣΟΚΟΟ ΗΧΚΟ ΟΠΟ Σ++ΣΙΣ ΗΚΛ%Θ.

ح- الطمع:

إنّ ظاهرة الطمع ليست وليدة اليوم، وإنّما هي مشكلة من بين مشاكل الساعة في المجتمع، ولا يخفى على أحد كونها سبب العداوة والصراع بين الناس خاصة الأخوة منهم. فالكمل يسعى لاكتساب الثروات والأموال الباهضة حيث اشتدّ الاحتكار وشاع الاستغلال والهيمنة البورجوازية والسيطرة الإقطاعية على الاقتصاد، فازداد الغني غنى والفقير فقراً؛ وهذا ما حاول حماد بيزماون وصفه قائلاً:<sup>25</sup>

ΠΗΗΣ Θ +ΗΣ+ ΣΧο Χ°ΚοΚ οΟ οΛ οΚ ΣΗΚ  
+οΚΚ+ Ι ΗΣΗΣ οΧΧΣΙΥ οΚΠΣΙ ΠΗολ,  
ΣΥ οΘΛ ΣΥοΕο ΠοΚΛο ΣΠΠοΛΛο ΙΣ+.  
ΣΥ οΘΛ ΣΥοΕο ΠοΚΛο ΣΟΣ ΛΛ%Σ+.

فالحقيقة التي لا غبار عليها أنّ الأخوة قد فقدت مفهومها وأصبحت في الهواء دحانا، ذلك أنّ اكتساب الثروة وامتلاك الأراضي جعل الإخوة ينظر بعضهم إلى بعض نظرة الأعداء، كل يتحين الفرص للقضاء على الآخر. سياسة شبيهة بسياسة الأسماك التي يأكل فيها القويّ الضعيف، إذ البقاء للأقوى.  
د- الانحراف:

يرجع الشاعر أسبابه إلى انحراف العصر كلّ، فعصرنا هو عصر الشهوات و القيم الفاسدة والأخلاق الرديئة أحياناً. تجرّد فيه الإنسان عن أصالته واستنكر ماضيه المجيد، وقد كان للمرأة حظّها في ذلك كما يزعم الرئيس يقول:<sup>26</sup>

ο ΖΖΚοΙ ΣΘ%ΛΗ, ΚΠο +ΧΣ+ ο ΛΛ%Σ+ ΥΚΚΗΗΣ ΘΚΙ+ ΣΚΣΗ ΙΟΘΙ,  
ΣΟοΛ ΧΣΙ ΚΛΛΙ ΚοΙ Υ ΗοΖΗ ΚΟΚΙ +οΕ%+,  
%Ο ο Θ%Η ++ΖΣΙ %Ηο ΣΗΗο Κο Σ++ΧοΘοΚΙ.

<sup>24</sup> - نفسه.

<sup>25</sup> - قصيدة: "لوحات آتاسا س ءوسماتي"

<sup>26</sup> - قصيدة: "زّماناد ثوبدل".

Πομορφία οὐρανὸς ἐξελθὼς ἡμεῖς ἐκ τῆς οὐρανίας,  
οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς.

ر- القمار:

تعتبر لعبة القمار ظاهرة اجتماعية، يجب أن تكثف جهود الباحثين الاجتماعيين إلى جانب السلطات الحكومية لمحاربتها والحد منها. فإما حبذا لو تضافرت جهود هؤلاء للقضاء وبصفة نهائية على هذه الجرثومة الخطيرة في مجتمعنا، المتفشية بسرعة فائقة بين أفراد وطبقاته. إن ضرورته بالنظر إلى ما ينفق في لعبتي "اللوطو و التيرسي" أصبحت كضرورة الماء والخبز والعمل بل وأكثر من ذلك، أصبح يلاحظ أن ما ينفق في هذه اللعبة يفوق بكثير ما ينفق في ضروريات الحياة، لذا بات من الضروري على المهتمين بشؤون المجتمع أن يولوا اهتماماتهم لهذه الظاهرة ودراسة أسبابها وجذورها وكشف القناع عن مستغليها المستفيدين من انتشارها. ولعل محاولة الرئيس حماد بيزماون في هذا الصدد هي بمثابة تصوير وانتقاد لهذه الظاهرة، مشيراً إلى أسبابها<sup>27</sup> التي تكمن في قلة العقل والطمع وانعدام الوعي، أما عواقبها<sup>28</sup> فينتج عنها- ولا شك- إتلاف الأموال، الإفلاس، الفقر و الأمراض العقلية... وقد طرح الشاعر البديل المتجسد في العودة إلى الله عن طريق الالتزام بالدين الإسلامي وتذكر الموت الذي قد يغفل المرء ويفاجئه في كل لحظة وحين، فقد قال منبهاً إلى ذلك:<sup>29</sup>

Πομορφία οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς,  
οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς,

.....  
ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς,  
ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς.

فهي محاولة من الشاعر لتذكير الإنسان الطاغية الفاسد بالموت الذي لا مفر منه، والذي لا ينفع معه مال ولا جاه. فمن أجله يحصد ويدرس ويكد في الحياة ويشقى، لأن كل شيء فان، وما الزاد إلا الأعمال. فمن كانت أعماله حسنة فمآله النعيم ومن كانت أعماله غير ذلك فمصييره الشقاء والهلاك، وفي قوله:<sup>30</sup>

οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς οὐρανὸς ἐξελθὼς.

دعوة إلى الالتزام بأداء فريضة الصلاة لأنها كفيلة بنهي الإنسان عن المنكر وارتكاب الجرائم،

<sup>27</sup> - تنظر في قصيدته: "تيرسي د لوطو"

<sup>28</sup> - تكمن في الطمع لاكتساب الثروة بسرعة بدون مشقة، ينظر تفاصيل ذلك في المرجع السابق.

<sup>29</sup> - قصيدة: "لموت ءامو نكرز".

<sup>30</sup> - نفسه.







فمضمون هذين البيتين يدور حول الضبع وضحكاته الماكرة كناية عن الماكر وحيله التي لها علاقة بحيل الضبع المفترس. ولم يفت الرئيس الاهتمام بالأرقام كوسيلة للإيضاح إيمانا ووعيا منه بأن لا فرق في النص الواقعي بين الشيء الموصوف وبين ما يبدو للسامع أو القارئ أنه هو، يقول: <sup>37</sup>

○ ΘΙΙ ΓΞΛΛΙ ○○ ○○ + ΞΛ ΞΚΨΗΙ ΨΟΙ Ξ ΠΞΞΞ○Ε,  
○ ΚΚΞΞ ΓΞΛΛΙ ○○ ○○ + ΞΛ ΞΚΨΗΙ ΚΚΞΙ ○Ψ○○○.

.....  
○ ΞΙΙ ○○ ○○ + ΘΗ○ΕΞΙ ○○○ΞΙΞΙ ○Κ○Η.

.....  
ΞΓΓ○ Ξ○ ΞΧ○Η ΗΙΞΛ ○○ Ξ○ΚΚ○ Ψ ΗΓ○Η ΙΘ,  
○ +ΙΙ○ ΗΓΞ+ ΞΨ ΞΛΞΓ ΧΓ○○ Θ○Η○Π○+.

إنَّ وصف القبر في هذه الأبيات الشعرية، وتصوير مراسم الجنازة يجعل السامع أو المتلقّي يدرك واقعية النص، ذلك أنَّ الأرقام المستعملة للوضوح والتحديد هي أرقام تلعب دورا في حسابات الشعوب الإسلامية. فالميت يكفن من طرف اثنين (سين) ويحمل من طرف أربعة أشخاص (كوز) ليُدفن في القبر وتوضع عليه سبعة (سا) أحجار. والرقم: 7 (سبعة) كما هو معلوم يلعب دورا كبيرا في القرآن حيث ورد في قوله تعالى: "الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" <sup>38</sup>، والرياح سخرها الله على قوم عاد سبع ليال وثمانية أيام حسوما يقول عز وجل: "وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما" <sup>39</sup>، كما أنَّ العدد: 5 (خمسة) استعمل في هذه القصيدة، ويستعمل بكثرة وذلك لتحديد عدد الصلوات المفروضة على الإنسان الواجب تأديتها كل يوم، إضافة إلى هذا فإنَّ خمسة أو الخميسة في المجتمعات الإسلامية رمز مشترك يرثه العين. والشعوب الإسلامية تؤمن بالعين وبالسحر لأنَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم يذكر الناس في بعض السياقات بأنَّ العين حقَّ والسحر حقَّ، ولما ورد في القرآن: "قل أعوذ بربِّ الفلق من شرِّ ما خلق، ومن شرِّ غاسق إذا وقب، ومن شرِّ النفاثات في العقد ومن شرِّ حاسد إذا حسد" <sup>40</sup> بعد أن سحر يهودي النبي ونفث في سبع عقد ورمها في البحر. <sup>41</sup>

<sup>37</sup> - قصيدة: "لموت".

<sup>38</sup> - سورة الملك، الآية: 3.

<sup>39</sup> - سورة الحاقة، الآية: 6.

<sup>40</sup> - سورة الفلق، الآيات من: 1 إلى 6.

<sup>41</sup> - مجلّة المناهل، عدد: 30، السنة الحادية عشرة، يونيو 1984.

تلك هي وبصورة موجزة نظرة حول بعض أهم خصائص المدرسة الواقعية في الشكل التي وردت في بعض قصائد الفنان حماد بيزماون، ولقد عمدنا فيها إلى الاختصار وعدم التوسع، وكل ذلك راجع إلى تعدد قصائده الشعرية وتشابه تلك الخصائص المذكورة الواردة بكثرة في ثناياها.

### خاتمة

يتضح من خلال ما تقدّم أنّ الفنّان الأمازيغي بسوس مرتبط أشدّ الارتباط بواقعه، فلقد وصفه بدقّة وصدق، وصوّره بأسلوب رائع يغلب عليه البيان والمحسّنات البديعية اللفظية والمعنوية، وكل ذلك وعيا منه بالمسؤولية والأمانة الملقاة على عاتقه، والتي يجب عليه تبليغها بصدق ووفاء، فقصائده في المجتمع السوسي آنذاك بمثابة الكتاب والمجلّة والجريدة. إذن، فلا غرابة إذا ارتفع صوت الفنّان في إيراده ما يشكو منه مجتمعه من مشكلات اجتماعية فاسدة، يصفها بدقّة وينتقدتها بشجاعة. فهو لسان مجتمعه، المعبر عن أفراحه وأحزانه، عن مسرّاته وآلامه، القائم بإصلاحه والمعالج لأزماته أحيانا.

هذا هو حال الناظم الرئيس حماد بيزماون الذي يصف وينتقد ويطرح البديل للخروج من الأزمة التي اعتبرها، وكما يستفاد من قصائده أنّها طارئة وليست موروثية، جديدة وليست قديمة، وهذا يعني أنّنا في ماضينا القريب لم نكن في مثل أوضاع الأزمة الراهنة بل العكس، وإنّما ليست قدرا مقدورا بل لها بداية. والبديل الذي طرحه الرئيس يكمن في تنمية الشعور الديني في النفوس ودعوة الآباء والأمهات إلى تربية الأبناء تربية حسنة وصالحة، وهذا ما تسعى إلى تحقيقه البرامج والمقررات التعليمية ببلدنا اليوم وهي ساعية إلى تجديدها كل ما مضت فترة معيّنة من الزمن.

## المصادر والمراجع

- أيبار محمد "القصيدة الأمازيغية السوسية دراسة نصية"، رسالة دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، 1999.
- أيبار محمد، الشعر الأمازيغي بسوس دراسة وتحليل "تيرويسا أنموذجا"، الطبعة الأولى استجوابات مع الرئيس أحمد بيزماون بأكادير والدار البيضاء.
- الأسطوانات: اسطوانات كتيبفون، نشر الشركة المغربية للنشر والتوزيع الفونوغرافي بالدار البيضاء.
- الكاسيطات: صوت النجوم بأكادير.
- أعشى (مصطفى) "ضرورة القيام بمسح للتراث الشعبي"، مقال ضمن مجلّة الفنون/ عدد: 5 - 6. بوزيد (أحمد)، مجلة الفنون، العدد: 5 و6.
- حجازي (سمير)، "المناهج المعاصرة للدراسات الأدبية" الجزء: 1، دار الفكر الحديث.
- الفاسي (محمد) "سوس عند الجغرافيين والمؤرخين قديما وحديثا" مقال ضمن مجلّة المناهل عدد: 23 مارس 1982.
- مجلة الفكر العربي، العدد: 25، السنة الرابعة يناير 1982.
- مروة (حسين)، "دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي".
- مستاوي (محمد) جريدة أنوال ليوم الخميس 4 أكتوبر 1984
- المعاوي (عبد الله) "الشعر الغنائي السوسي (لقصيدة)"، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب الرباط.
- المولى (هيام) "إشكالية الموقف إزاء الثقافة الشعبية" مقال ضمن مجلّة معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، الفكر العربي عدد: 19، السنة الثالثة 1981.
- نشاوي (نسيب)، "المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر"، دمشق، السنة: 1980.